عن مجلّات تشرّبت روح الكفر والزندقة وهي سمٌ زعاف تتفشّى في القلوب وتزور مفاسد تبذرونها في النفوس فتنمو الى ان تأتي باثمار امرّ من العلقم. فناشدتكم الله كيف يمكنكم ان تدّعوا بحفظ الآداب واثارة العقول وترقية الهيئة الاجتماعية بعد ان تزعزعوا بمبادئكم قواعد هذه الآداب وتثيروا في العقول ظلمات الشبهات وتقطعوا روابط تلك الهيئة. فارعوا عن غيّكم هداكم الله الى الصراط المستقيم

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي

تمهيد

انّ في لبنان عدّة اماكن وقرى تشتمل على آثار قديمة ذات شأن خطير وهي مع ذلك مجهولة لا يكاد يعرف الاهلون غير اسمها فرأينا ان نحيي ذكرها بهذه المقالة الطريفة التي وسمناها « بتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » نودعها ما تسنّى لنا جمعهُ من اخبار تاريخية واوصاف جغرافية ومآثر عادية. وهو مجال لا شكّ رحبٌ الّا اننا نأمل انّ القرّاء لا يسأمون ان يجروا فيهِ معنا أشواطاً فيجدون في كلّ طلّةٍ ما تقرُّ بهِ عينهم ويرتاح اليهِ جنانهم. كيف لا والمرء مغرًى بمعرفة بلادهِ مُولع بشرف مسقط رأسهِ ومآثر اجدادهِ. وقد حدانا ايضاً الى مباشرة هذا المشروع رغبتُنا في حفظ تلك الآثار قبل ان تستولي عليها يد الدمار (١. ولعلّ ما نذكرهُ ينشّط ايضاً بعض قرّائنا الى البحث والتفتيش فيشدُّون باكتشافاتهم أزرنا ونحن نشكر سلفاً كلّ من يأتينا بفائدة او يُحفنا بطرفة فيشاركنا على تحقيق الآمال التي ابديناها في مقالة سبقت لنا في المشرق (ص ٢٦١) عنوانها: « هيّا على درس تاريخنا ». وكنّا في هذه اللائحة اشرنا الى درس الآثار القديمة وعددناها بين الوسائط الكبرى لمعرفة تاريخ بلادنا. وسيكون مفتتح كلامنا على الجهات الواقعة في شمالي بيروت

١) قد درس كثير من هذه الرسوم والآثار في مدّة الخمس والعشرين سنة المنصرمة. وسنعود الى هذا الموضوع ثانية

الفصل الاوّل

قسم لبنان الواقع في شمالي بيروت

١ انطلياس

اذا ما خرج المسافر من بيروت سائرًا نحو الشرق اوّل ما يلقاهُ في طريقه نهر بيروت. وهو مجرى ماء ربّما اضحى في الشتاء سيلًا جارفًا. واكثر الكتّاب الحدثين يرتأون انّهُ هو النهر الذي دعاهُ بليني الطبيعيّ نهر ماغوراس وانّهُ كان من انهار الفينيقيين المقدّسة دعوهُ بذلك اشتقاقًا من اسم الاله ماقار وهو اسم زُحل باعتقادهم (١. وقد عارض هؤلاء الكتبةَ غيرُهم فانكروا انّ نهر بيروت هو نهر ماغوراس المذكور (٢ واحتجّوا لذلك بحجج لا يسعنا هنا بسطها

واذا اجتزتَ النهر وجدتَ في طريقك او على مقربة من الطريق قرًى ومزارع نظامُها حديثة العهد اللهمّ الّا سنّ الفيل التي ورد ذكرها في تآليف الصليبيين مصحّفةً بسنسفيل (Senesfil ٣). ثمّ تقطع سهلًا مستطيلًا على سيف البحر يؤدي بك الى نهر انطلياس الذي بجواره موقع القرية المدعوّة به

واسم انطلياس كما لا يخفى معرّب وقد تضاربت في اصله الآراء. فمن العلماء من زعم انّهُ نُسب الى النبيّ الياس واهل القرية يعظّمون هذا القديس ويكرّمونهُ ايّ اكرام ويقدّمون لكنيسته المشيّدة في قريتهم النذور ويأنفون ان يحلفوا باسمه واذا حلفوا كوهوا الحنث بأيمانهم فقيل ان الضيعة دُعيت لذلك باسم هذا النبيّ. الّا ان في هذا التفسير شبهةً لانّهُ لا يبيّن معنى اوّل لفظة «انطلياس» ولم يحاول بعدُ احدٌ شرحَها. وجاء في تقليد اهل لبنان انّ انطلياس دُعيت باسم بعض المشاهير او المعبودات ولم يمكنّا تحقيق ذلك

ولعلّ انطلياس مشتقّة من الكلمة اليونانية (Ἀνθήλιος) اي موازٍ للشمس لانّ انطلياس تقابل المغرب بينما تواجهُ بيروت جهةَ الشمال. وهذا الشرح لا يتجاوز حدَّ الحدس والرجحان وعلى كلّ حال انّ انطلياس قريةٌ قديمة العهد يشهد بقدمها ما وجدهُ علماء العاديّات من الآثار الجليلة كواميد ذوات حجر واحد من الرُّخام المحبّب ونواويس وبقايا بنايات قديمة.

---

١) راجع تاريخ الفينيقيين Movers: *Phœnizier* I, 262 et 666

٢) راجع مجلّة العاديّات Revue Archéologique, 1878, I, 13, *note* 1

٣) راجع Rey: *Colonies franques*, p. 524

فلا شكّ ان العمد يدلُّ على ان ثمّت كان هيكل للعبادة كما انّ الدواوين المكتشفة تشهد بوجود مدفن قديم وبقايا الابنية تبيّن وجود القرية القديمة سواء تدعى بانطاياس او باسم آخر مفقود

وموقع انطاياس حسنٌ جدًّا لا بُدّ انّهُ استلفت منذ قديم الزمان انظار الاهلين فسكنوهُ وعمّروهُ ولا نظنّ انّ قرّاءنا نسوا ما كتبهُ في الاعداد السابقة من المشرق (ص ١٠٤) حضرة الاب زغّوق بخصوص محطّة انطاياس القديمة وما وُجد فيها من الآثار التي تقدّمت عهد التاريخ. والذي حمل الاقدمين على ايثار انطاياس وتفضيلها على ما سواها انّما هو نهرها ذو الماء العذب الزلال الذي يولي البقعة المجاورة للضيعة خضارةً وخصباً

وكانت السكّة الرومانية الواصلة بين نهر الكلب وبيروت تجدي لسكّان انطاياس منافع جمّة فسهّل لهم نقل كلّ خيرات المدينة. ولا غروَ انّ الرومان اقاموا هناك نُصُباً للدلالة على المسافة بين بيروت والقرية التي نحن بصددها وهي مسافة خمسة اميال اي نحو سبعة كيلومترات ونصف

فهذا جلّ ما نعرفهُ الآن عن انطاياس. وقد زعم البعض انّ هذه الضيعة هي مدينة لاونتوبوليس القديمة (١ وهو رأي واهن لا يمكن اثباتهُ ببرهان صحيح. والصواب انّ لاونتوبوليس كانت في جنوبيّ بيروت على طريق صيدا.

٢ صربا وجونية

ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوهُ الاقدمون ليكوس ومعناهُ الذئب وتسير مدّة فتصل الى ضيعة موقعها شماليّ النهر تدعى صربا وهي منتصبة فوق الصخور المشرفة على خَوْر جونية. وهو شرم في البحر يُعدّ من احسن خلجان سوريّة ولو اراد احدٌ ان يحوّلهُ الى مرسى لتهيّأ لهُ ذلك دون مشقّة. وليس في كلّ ساحل الشام من غزّة الى الاسكندرونة مينا طبيعيّة سواهُ. وهو في جهتهِ الشمالية عميق القرر فلا بأس على السفن اذا القت هناك مراسيها لان هذه الجهة الشمالية آمن من الجهة الجنوبية التي قعرُها رملٌ. وخور جونية بمعزل عن الرياح الخطرة الشديدة الهبوب كريح الشمال وريح الجنوب والصبا. ومع كلّ هذه

(١ Revue Archéolog. 1872, I, 172

الخصائص بقيت جونية قرية لا يُعبأ بها مدّة اجيال طويلة ولا علّة لذلك سوى صعوبة الوصول اليها وانحصار اطرافها بين جبال عالية تُطِلّ عليها شرقًا ومضيقَي نهر الكلب والمعاملتين شمالًا وجنوبًا. وعليه لم يمكنها ان تنبسط في السهول المجاورة وتوسّع نطاق أرباضها كغيرها من المدن مثل بيروت وطرابلس وصور وصيدا.

ورغمًا عن هذه العوائق قد اخذت جونية منذ امدٍ قريب تحفل بالسكّان وتزيد اتّساعًا. وقد نالت نصيبًا كبيرًا من الحظّ منذ انشئت السكّة الحديديّة على ساحل البحر ألا انّها تفتقر لترقى في معارج النجاح الى شيئين اعني الى مياه عذبة يجلبها اليها اهلها من احد الينابيع القريبة والى بعض تحسين سَهُل في مرفاها بأن يُجعل له رصيف لنقل البضائع الى البرّ وتزول الركّاب وتعميق بعض اطراف الخليج. فلو اخرج اهل جونية هذه المشروعات الى حيّز العمل اضحت بلدتهم من ابهج البلاد اشبه شيء مع صغرها بمرفإ نابولي المعدود من ابدع مناظر الدنيا

هذا ما يختصّ بجونية اما البلدة نفسها فقد اشتُقّ اسمها من خليجها فدُعيت به جونية جونًا او خَوْرًا. ولها ذكر في تواريخ القرون المتوسّطة. وكانت في ايّام ياقوت الرومي من اعمال طرابلس(١. وقال الادريسي(٢ وهو من كتبة القرن الثالث عشر « انّ جونية حصن على البحر واهلهُ نصارى يعاقبة ». وذكر لها في محلّ آخر كورةً (٣ وذلك ممّا يشير بنوع جليّ الى اهمّيتها. وقد ورد ايضًا اسم جونية في تآليف الصليبيين وهم يدعونها جوينة (Juiné). اما قدماء الجغرافيين من اليونان والرومان فلم يرووا شيئًا عنها ولا عن صربا التي كانت تُعَدّ من ارباضها متعلّقة بها. ولذلك لم نرَ نحن ايضًا ان نفصلها عن بعضها

قال پلينيوس الطبيعي : « انّ بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس (نهر ابرهيم) مكانًا يدعى پالِيبِبلوس(Palæbyblos) ». وزاد عليه ايضاحًا اسطرابون الجغرافي فقال : « اذا سرتَ من بِبلوس (جبيل) جنوبًا تلقى في طريقك اوّلًا نهر ادونيس ثم جبل كليبكتن (Κάλλικτος ὄρος) ثم بعدهما پالِيبِبلوس واخيرًا نهر ليكوس » . فاذا اعتبرنا

١) معجم البلدان (٢ : ١٦٠)
٢) راجع طبعة خلدمَيستر ص ١٧ ٣) ص ٢١

كلام اسطرابون لا نجد بين نهري الكلب وابرهيم سوى محلّين احرزا لهما في الزمان القديم شهرةً بعدد سكانهما وهما «بيجا» و«جونية صربا». وما من موقع الأهما يحسن ان يكون مربطاً للسفن. وتعيين المراقي كما لا يخفى من شأنه ان يبيّن موقع المدن الفينيقية القديمة لحذق الفينيقيين بفنّ الملاحة وتفرّغهم للتجارة (١

واوّل ما يفيدنا اسطرابون انّ بالبيلوس هذه في جنوبي جبل كليكس فاذا تحقّقنا موقع هذا الجبل استدللنا ايضاً على مكان بالبيلوس. ونظنّ انّ الجبل المذكور هو الجبل المشرف على البحر في شمالي جونية بقرب المعاملتين وهو عبارة عن صخور مرتفعة يمرّ في وسطها طريق الساحل. وتسمية اسطرابون لها بكليكس موافقٌ جدًّا لان كليكس (Κλῖμαξ) باليونانية معناهُ المرتقى والدرج. وقد اثر بعض العلماء (٢ رأياً آخر في تعيين جبل كليكس فقال انّهُ هو الجبل المشرف على جونية الذي تملوهُ قريتا حريصة وغسطا. وما فيهِ من المراقي الصعبة اشبهُ شيء بدرج السُّلَّم فدُعي لذلك كليكس. وكلا الرأيين محتمَل فندع لترّاننا ان يرجّحوا الواحد على الآخر. وعلى هذين الرأيين لا بُدَّ من القول انّ بالبيلوس هي صَرْبا لوقوعها في جنوبي جبل كليكس

ولا غرو ان يكون موقع جونية وصربا استافت منذ القدم انظار الفينيقيين وهم في حاجة الى نقل بضائعهم برًّا. وعلاوة على ذلك انّنا نعلم ان اكثر المدن الفينيقية كانت مبنيّة في سالف الزمان على تُشرز او على رؤوس تشرف على البحر كما ترى في جبيل وصيدا وبيروت وصور وهلمَّ جرًّا. فلا ريب اذن ان صربا وجونية اضحتا قديماً مقاماً للفينيقيين ومرفأً لسفنهم

وما وُجد في هذه السنين الاخيرة من الآثار القديمة بصربا يؤيّد رأينا. الّا ان البنايات الحديثة قد أفنت كثيرًا من هذه البقايا الجليلة التي وصفها السيّاح منذ بضعة عشر سنين. ومن هذه الآثار مغارة يكرّم فيها اليوم القديس جرجس ويظهر انّها كانت سابقًا

---

١) راجع مجلّة المباحث (Études, 1861, p. 524) وفيها مقالة ذات شأن في آثار سوريّة للاب بوركنو اليسوعيّ. الّا انّنا لا نوافق كاتبها في رأيهِ عن بالبيلوس. وسيأتي ذكر هذا البحث في معرض كلامنا عن برجا

٢) راجع مجلّة العاديّات (Revue Archéoleg. 1878, I, 3 et 15)

هيكلاً لعبدة الاصنام. ومنها القبر المعروف بقبر بنت الملك وهو مدفن قديم. ومنها ايضاً قبور ومعاصر قديمة الى غير ذلك من الآخرية الدارسة

ولكن اعظم هذه الآثار قلعة صربا التي لم يبق منها غير قسمها الاسفل وهو عبارة عن حجارة ضخمة تشبه حجارة دير القلعة. وكان سابقاً بجوار تلك العمارة اعمدة ورؤوس اعمدة وبقايا أخر من هيكل قديم(١ لانّ هذه القلعة كانت معبداً للوثنيين واهلها كانت مخصّصةً بعبادة سيرابيس. وقد اشتقّ الكاتب كولُتا شكّلدي (Ceccaldi) اسم صربا من اسم سيرابيس الهِ هذا الهيكل. وقد اكتُشف ايضاً في صربا وجونية على مسكوكات فينيقية وتماثيل وكتابات من جملتها كتابة يونانية في ركن بعض التماثيل كتب فيها (Ζεὺς ἐπουράνιος) اي « المشتري السماري »

فيظهر اذن ممّا تقدّم انّ جونية وصربا شُيّدتا في موضع مدينة قديمة يرجّح انهـا باليبلوس وكان معظمها فوق الصخور في محلّ صربا وكانت جونية كمرفإ لها منذ ايام الفينيقيين

شجرة الفردوس الارضي

حضرة الاب انستاس ماري دي سنت ابلي الكرملي البغدادي

ليس الغاية من هذه المقالة ان أبيّن للادباء هل كانت شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ شجرةً واحدةً او شجرتين تتميّز الواحدة عن الاخرى لانا نعلم بان المفسّرين قد اختلفوا في ذلك وانقسموا حزبَين كما هو مشهور(٢. ولا الغاية منها ان أثبت لهم أيّاً من الاشجار كانت شجرة معرفة الخير والشرّ. فان الآراء قد كثرت في هذا الصدد وكلّ جماعة تؤيّد رأيها ببراهين تقرُب من الصدق او تبعد عنهُ قليلاً او كثيراً تبعاً لما فيها من قوّة الاقناع. فمنهم من ادّعى بانها نبتة الحنطة. وقالت جماعة بانها الكرمة. واثبتت فئة بانها

---

١) وقد نقل البنّاؤون كثيراً من هذه الحجارة فاتخذوها للبنايات المستحدثة كما فعلوا في دير القلعة. وهذا امر لا شكّ يؤسف عليهِ فاذا داوم الاهلون على خُرقهم في تحطيم هذه الرسوم لم يبقوا عمّا قليل في لبنان شيئاً من الآثار القديمة ٢) انّ الكتاب المقدّس يميّز صريحاً بين شجرة الحياة وشجرة المعرفة والشرّ فلا يبدأ برأي من زعم انهما شجرة واحدة (المشرق)